

## سيد الكون والزمان هو المسيح لا ضده

الأستاذ جورج مانتزاريديس

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

” قَدْ صَارَ الْآنَ أَضْدَادًا لِلْمَسِيحِ كَثِيرُونَ“ (١ يوحنا ٢:١٨).

ضد المسيح، كما يؤكد لنا رسل الرب ويزكّرنا القديس غريغوريوس بالاماس، حاضر: ”أيها الأولاد... قَدْ صَارَ الْآنَ أَضْدَادًا لِلْمَسِيحِ كَثِيرُونَ“. في الواقع، إذا استسلمنا لروح عصرنا ونسينا أننا بشرٌ مخلوقون ”على صورة الله ومثاله“، إذا قبلنا أن نعيش ونتصرّف كأرقام، ككائنات عاجزة تقبلُ عبادة أي بيروقراطية من أجل الراحة أو البقاء، فماذا يتبقّى؟ ما الذي يمكن أن يفعله ضد المسيح أكثر من ذلك؟ ما الذي أراد تحقيقه أكثر في تعنته على المسيح؟ ”وَأَزَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا، وَقَالَ لَهُ: «أَعْطَيْكَ هَذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَزْتَ وَسَجَدْتَ لِي»“ يلحظ القديس يوحنا الإنجيلي في سفر الرؤيا أن الوحش يلزم الجميع أن يحفروا على أيديهم أو جباههم اسمه أو رقم اسمه، حتى يتمكنوا من التجارة. يقدّم الوحش للناس بضائعه وخدماته شرط أن يخضعوا ويعبدوه.

رقم الوحش هو ”عَدَدُ إِنْسَانٍ“ (رؤيا ١٣:١٨). والإنسان الذي لم يعد يعيش كإنسان بل كرقم، الإنسان الذي يضحّي بروحه لإشباع رغباته وحواسه، قد خضع بالفعل لحاكم هذا الزمان. لقد سبق له أن حمل ”اسم الوحش أو رقم ذلك الاسم“. لقد حمل ”السَّمةُ أَوْ اسْمُ الْوَحْشِ أَوْ عَدَدُ اسْمِهِ“ (رؤيا ١٣:١٧).

عدد اسم الوحش، ٦٦٦، مكتوب في سفر الرؤيا بالأحرف اليونانية ΧϞϞ. أحد التفاسير الرمزية يرى في هذه الحروف الأحرف الأولى من الكلمات ”Χριστός ξένος σταυρού“ (تفسيرها: مسيح غريب عن الصليب). يتم تقديم ضد المسيح للعالم على أنه مسيح غريب عن الصليب. لا يصلب نفسه، لأنه لا علاقة له بالمحبة والتضحية. ولا يطلب من الناس رفع صليبهم. يعد بالراحة والرخاء شرط رضوخهم الكامل. يكفي أن ينصاع الإنسان له، فيعيش (كما يُفترض) براحة. يكفي أن نعبده حتى نتمتع بخيرات الأرض.

اليوم الهدف الرئيسي للإنسان وثقافته هو الراحة والتمتع بخيرات الأرض. يتم تجميع كل شيء في الأجهزة والخدمات والمعلومات التي تجعل الحياة أسهل. حرية الإنسان يتم التضحية بها على مذبح هذه الراحة. بمعنى آخر، يتم التضحية بالإنسان نفسه. وهو يحتمل هذه الذبيحة، لأنه يعتبرها حتمية. أن يرفض منشأته؟ أن يرفض فتوحاته؟ أن يتخلّى عن ثقافته؟ قد يبدو النسك الجذري سلبياً من جميع النواحي. فالحياة في العالم مختلفة ويجب أن يكون الخلاص متاحاً لكل العالم، العالم المعاصر للتكنولوجيا المتقدمة وتقنيات المعلومات.

إنّما، ما الذي يمكن عمله في هذه الحالة؟ الجواب ليس بسيطاً. الحضارة المعاصرة لا تأتي من الشيطان. إنها تقوم على الفكر والقدرات البشرية. ومع ذلك، في الوقت نفسه، هذه الحضارة تحقّق النزعة الشيطانية من الاستخدام المستقل للمعرفة واعتمادها. إنها حضارة الرجل الساقط في أسوأ صورها. ينتقل الإنسان إلى أقصى حالات عطبه "في كل مجده". فيصير الله منفيّاً من اهتماماته. تخفت الروح وتهتمّش الأخلاق. ويبقى الإنسان مطمئناً وراضياً ببضاعته ووسائل راحته، بوجهه الغريب وحرّيته المتفريّة.

ينجز ضد المسيح عمله بشكل أفضل عندما ينسأه الإنسان أو يعتقد أنه غير موجود. ونحن نعيش تناسي وجوده أو إنكاره. في هذه الأثناء يواصل ضد المسيح عمله. ونحن في خطر أن نساهم في تتويج سر وجوده أو أقله معابنته، من دون حتى أن نشكّ فيه. نحن في خطر أن نصل، أو أن نكون قد وصلنا، إلى عصر ظهوره النهائي دون أن ندرك ذلك. دون أن نشكّ في أننا نتبع دعوته ودون أن نتوب. حارب القديسون ضد المسيح طوال حياتهم، بالنسك والصلاة، وبالجهادات الاجتماعية والعقائدية هزموا الشيطان وأعمال الشيطان. "من جديد، الحية القديمة" تتناول علينا، كما اعتاد القديس غريغوريوس بالاماس أن يقول عندما تتعرّض الكنيسة لأي تهديد. ويضيف أن صليب المسيح يحظم رأس الشيطان. والشيطان، الذي يستغلّ أتباعه، يسحقه أولئك الذين رأسهم المسيح. لكن في النهاية، الشيطان نفسه، من دون أن يشاء ذلك، يساعد في عمل المسيح. "الشيطان شريك في تدبير الله دون أن يقصد ذلك أو يراه". إن إظهار غريبه وبؤسه يزيد من سطوع عظمة الله.

إن سر صليب المسيح يسحق ويقضي على سر ضد المسيح. ومن يعيش سر الصليب، وهو سر إنكار الذات والموت للعالم، يشترك بالفعل بدءاً من حياته هذه في الانتصار على ضد المسيح وفي مجد قيامة المسيح.

إن رب العالم والتاريخ هو المسيح وليس ضد المسيح. بغض النظر عن مقدار ما تثيره القوى المضادة، وبغض النظر عن مدى ظهور أضداد المسيح ومخططاتهم بمظهر المنتصر، فإن العالم في يد الله. كل من يعرف هذه الحقيقة ويعيشها لا يخاف أو ييأس. إنه يفرح ويتطلع إلى المُقبِل، إلى الذي جلب ملكوت الله إلى العالم وجاء كسيد ضابط الكل، إلى من "خرج منتصراً وغلب". لقد هُزم ضد المسيح بالفعل بصليب المسيح. في آخر الزمان، سوف يكون قيده المتشجج، وانفجاره النهائي، مقدمة لاستعلان المسيح النهائي ومجد المؤمنين.

.Source: Γ. Μαντζαρίδη, 2011. «Και νυν αγαπητοί Αντίχριστος ἐστίν», απόσπασμα. Περιοδ. Σύναξη, τευχ. 29